التجـــــار

ودورهم الثقافي في مصر خـــلال العصر المملوكي

(٦٤٨ - ٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

إعـــــداد

د. إبراهيم على السيد القلا

مدرس التاريخ والحضارة الإسلاميـة

كلية الآداب بقنـا – جامعة جنوب الـوادي

٢٠٠٤م

التجار ودورهم الثقافي في مصر خلال العصر المملوكي
(٦٤٨ ــ ٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ ــ ١٥١٧م)

المقدمة :

قامت مصر خلال العصر المملوكي بدور كبير في النشاط التجاري بين الشرق والغرب ، مما أدى إلى ثراء التجار ، وجعلهم طبقة ممتازة إلى حد بعيد بين طبقات المجتمع ، وتمتع التجار باحترام كبير ومكانة بارزة في مختلف المدن والبلاد المصرية خلال ذلك العصر فإذا أرادوا مدح شخص قالوا عنه أنه *"من بيت تجارة ووجاهة"*(١).

ولم يقتصر نشاط التجار على التجارة ومساعدة الدولة ، بل بذل الكثير منهم من أموالهم في سبيل دعم الثقافة الإسلامية ، فكانوا ينهلون من علوم الإسلام والثقافة ، وينشرونها في دروب الأرض ما وسعهم من جهد ، والواقع الذي يجب علينا أن نبرزه هو جهود بعض التجار في سبيل العلم والثقافة ، وهي جهود جديرة بالتسجيل والاعتبار.

وهناك نسبة لا يستهان بها من المشتغلين بالأسفار في مصر خلال العصر المملوكي جمعوا بين حياة العلم والتجارة ، بمعنى أن رحلتهم كانت في طلب العلم والتجارة معا ، ولم يكن هناك عائق لأن يكون التاجر فقيها أو محدثا أو مقرئا أو مفسرا أو نحويا أو شاعرا أو غير ذلك في تلك الفترة التي لم تعرف ما نعرفه الآن من وسائل الإعلام من طباعة وإذاعة وغيرها حيث كانت الأخبار والمعارف تنقل جميعا بصحبة التجار في قوافلهم أو سفنهم.

وفي ظل حضارة غلب عليها طابع الإيمان ، وارتبط العلم فيها أساسا بالعلوم الدينية حرص كثير من التجار وبخاصة ذلك الفريق الذي يعرف باسم التجار الركاضين ــ أي غير المقيمين والمتنقلين من مكان لآخر ــ على انتهاز فرصة تجوالهم ومرورهم بعدد كبير من المدن ومراكز العلم والمعرفة للتزود بقدر من العلوم يحقق لهم صلاح الدنيا والآخرة.

وكان لبعض التجار مآثر وأيادي بيضاء على المجتمعات والشعوب التي عاشوا فيها أو حلوا بها لما كانوا يتمتعون به من ثروات طائلة ، ويتحلون به من أخلاق فاضلة وتقوى زائدة ، فكانوا يقومون بإقراض المحتاجين بدون ربح ، وقاموا بنقل طلاب العلم على سفنهم من الراغبين

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ١٠ ، ص ١٤ ، سعيد عاشور : المجتمع المصري ، ص ٣٤

في طلبه إلى المراكز العلمية بالقاهرة والإسكندرية ، وغيرها من المدن المصرية وبعد أن ينتهي هؤلاء الطلاب من دراستهم ويريدون العودة إلى أوطانهم يعيدونهم مرة أخرى من حيث أتوا تدريجياً في رحلات علمية أيضا ، كما كانوا ينفقون على نفقتهم بعض العلماء الذين يريدون الحج والمجاورة في بيت الله الحرام بمكة.

ومن دور التجار في الحياة الثقافية أنهم كانوا يقومون بشراء المخطوطات التي نسخت حديثا وظهرت في أسواق البلاد التي يتجرون فيها إلى راغبي العلم والمعرفة ، وبعضهم نقلوا إلى السلاطين والأمراء المماليك أندر وأنفس المخطوطات مكلفين بذلك منهم ، بل إنهم أنفسهم اقتنوا أعظم الكتب والمخطوطات في مكتباتهم الخاصة ليطلع عليها كل من أراد ، وكنوع من البركة والجمال الذي تزدان به قصورهم.

وكان التجار من بين رجال الدولة الذين أوقفوا الأوقاف من الأراضي والمباني والبساتين للصرف على المكتبات من خلال تزويدها بما تحتاج إليها من أثاث وتجهيزات ومجموعات الكتب ، فضلا عن تقديم الرواتب للعاملين بالمكتبة ، فمعظم المكتبات العامة في المدارس والمساجد والزوايا قامت خلال العصر المملوكي على قاعدة الوقف إنشاءا وتمويلا وصيانة(١).

وأيضا خصص الكثير من التجار جزءا من ثروتهم لإنشاء المدارس والمساجد والزوايا والبيمارستانات وترميمها في مصر ، وكانوا يسهرون على العناية بتعليم أبنائهم تعليما خاصا وتنشئتهم تنشئة دينية طيبة ، وذلك بإحضار الأساتذة والمشايخ لهم في قصورهم ، وكانوا يبتاعون لهم المخطوطات والكتب بأغلى الأثمان لتنشئتهم تنشئة علمية طيبة ، وكان منهم من يعمل بالتدريس في المدارس والمساجد وغيرها من المؤسسات التعليمية.

دور التجار في العلوم الدينية :

قامت الدراسات الدينية على تفهم معاني القرآن الكريم ، ورواية الحديث النبوي الشريف ، وأقوال الأئمة ، واستنباط الأحكام ، وقد شملت علم القراءات ، والتفسير ، وعلوم الحديث ، والفقه.

---

١) ابن الأكفاني : إرشاد القاصد إلى سنة المقاصد

علم القراءات[1] :

علم القراءات يدور حول كيفية قراءة ألفاظ القرآن الكريم وتهجي كلماته ، وعلى عالم القراءات أن يكون حافظا للقرآن الكريم وطرق قراءاته السبع ، متقنا للنحو وقواعد اللغة وأصول التفسير ، على قدر عال وعلم تام بقواعد اللغة وأصول التفسير حتى يتسنى له قراءة ألفاظ القرآن الكريم بدقة[2] ، وفائدة ذلك هو صون كلام الله تعالى من التغيير والتحريف.

إذ تذكر حجة وقف السلطان الظاهر برقوق : "ويرتب الناظر أيضا رجلا من أهل الخير والدين والصلاح ، حافظا لكتاب الله العزيز ، متقنا للقراءات بالروايات السبع بالشروط المعتبرة في مثله ، أهلا للاشتغال بالقراءات السبع...) [3]

ولذا اتفق بعد البحث والاستقصاء على قراءات معينة ، وقصد من تنوعها التسهيل نتيجة لاختلاف اللهجات ، وقد أصبحت هذه القراءات علما مدونا توضع فيه المصنفات، وكانت كل بلد تأخذ من القراءات ما يلائم طبع أهلها ، فبعضهم جعلها سبع قراءات ، وبعضهم جعلها عشرا ، وإن رجحت سبع قراءات ، وهي : قراءة نافع من المدينة ، وابن كثير من مكة ، وابن عامر من الشام ، وأبي عمرو من البصرة ، وعاصم وحمزة والكسائي من الكوفة[4].

ولكن المتفق عليه أن القراءات المتواترة سبع قراءات ، ويضاف إليها ثلاث أخرى لتصل إلى عشر قراءات ، وتوجد أربع قراءات أخرى شاذه.

وقد اشتهر العديد من التجار في مصر خلال العصر المملوكي بقراءة القرآن الكريم ، منهم ابن ثمرية محمد بن أبي بكر بن محمد السمنودي المقرئ تاج الدين ــ كان يشتغل في البز وراثة عن أبيه بجانب قراءة القرآن الكريم ، توفي سنة ٨٣٧هـ / ١٤٣٣م[5] ، والشهاب المحلي أحمد بن محمد بن علي بن هارون الشهاب المحلي السكندري القاضي

) ١) القراءات : جمع قراءة ، مصدر قرأ في اللغة ، ولكنها في الأصطلاح العلمي : مذهب من مذاهب النطق في القرآن يذهب به الأئمة القراء في كيفية النطق وطرق الأداء من تفخيم ، وترقيق ، وأمالة ، وأدغام ، وإظهار ، وإشباع ، ومد وقصر ، وتشديد وتخفيف ، وجميعها في حرف واحد هو حرف قريش

(٢) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص١٠٣، ١٠٤

)٣) حجة وقف السلطان برقوق ، دار الوثائق المصرية ، محفظة ٩.

(٤) ابن الجرزي : طبقات القراء ، الجزء الأول.

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ ١ ، ص٣٧٥.

الشافعي ـ كان يتاجر في بيع شراب الورد في سنباط وجوجر ، حفظ القرآن الكريم ، وتولى قضاء الإسكندرية سنة ٨٥٣هـ / ١٤٤٩م ، توفي بادكو من المزاحمتين سنة ٨٦٠هـ /١٤٥٥م[١].

وكان شمس الدين الأبوقيري ، وهو محمد بن أحمد بن محمد الخواجا شمس الدين الأبوقيري السكندري نزيل مكة ، سافر إلى كلكتا في تجارة وسكن بها ، وكان قد اشتهر بالعلوم الدينية وأرخ له ابن فهد توفي سنة ٨٦٤هـ / ١٤٥٩ م[٢].

ومحمد بن أحمد بن عمر الشمسي الششني[٣] القاهري ـ قاضي المحلة كان يجلس للتكسب بحانوت بباب اللوق بالقاهرة ، وكان يقرأ القرآن بالأزهر الشريف ، توفي سنة ٨٧٣هـ / ١٤٦٨م [٤].

والشهاب أبو العباس أحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد النويري الغزي ثم القاهري ، ولد سنة ٨٠٥هـ / ١٤٠٢م ، نشأ بغزة ، وتولى قضاء المالكية بها ، وكان ممن شارك في القراءات وغيرها ، امتاز بتواضعه وإدامته التلاوة للقرآن الكريم ، والاستعانة في معيشته بالتجارة ، ثم أعرض عن التجارة ، توفى سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م[٥].

والتاجر يحي بن حسن بن عكاشة الربعي الغزي الحنفي ، ولد بغزة سنة ٨٣٢هـ / ١٤٢٨م ، ونشأ بها ، واهتم بالعلم ، فحفظ القرآن الكريم ، واشتغل بالفقه ، وحج سنة ٨٥١هـ/١٤٤٧م ، فقطن مكة وأخذ عن شيوخها ، وتصدى للقراءة على العامة بالمسجد الحرام في كتب السير والحديث والوعظ ، واتصف بالتواضع والخير والتودد والتأني في القراءة ، وفي أواخر أيامه سافر إلى القاهرة واستقر بها حتى وفاته[٦].

---

(١)أبو المحاسن : النجوم ، جـ ١١ ، ص١٨١ ، السيد عطا : أقليم الغربية ، ص٣٣٩

(٢) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٦١٣

(٣) الششني : نسبة إلى ششنة ، وهي قرية مندرسة من أعمال الغربية ، محلها اليوم عزبة الرواج بمركز شربين بالغربية ، محمد رمزي : القاموس ، ف١ ، البلاد المندرسة ، ص٣٠١

(٤)السخاوي : الضوء ، جـ٧ ، ص٣٤

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٧ ، ص٣٣١، السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص١٨٨

(٦) السخاوي : الضوء ، جـ١٠ ، ص٢٢٤،٢٢٥

ومن القراء الذين تكسبوا بالتجارة في الحوانيت ابن سعيدة عبد القادر بن محمد بن عبد الله الشيخ القويسني القاهري الشافعي المولود سنة ٨٣٦هـ / ١٤٣٢م[١].

ومن القراء الذين لم تشغلهم قراءة القرآن الكريم عن التجارة والتحصيل التاجر أحمد بن عبد الواحد بن الشهاب البهوتي القاهري الشافعي المصري[٢] ، والمقرئ حب الله عبد الوهاب بن أحمد بن محمد المحلي الحصري ، الذي اشتغل بصناعة الحصر والتجارة فيها ، بجانب قراءة القرآن الكريم[٣].

وكان ابن وهيب الإدكاوي ــ أبو بكر بن أحمد بن أبي بكر بن محمد الإدكاوي الشافعي ويعرف بابن وهيب ، ولد بإدكو سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م ونشأ بها ، فقرأ القرآن الكريم ، والأربعين النووية ، ومختصر أبي شجاع ، وألفية ابن مالك في النحو ، وبجانب ذلك كان له دولاب قماش "تول نسيج" ، وكان يتاجر في القماش ، وكان نائبا في قضاء إدكو ، تردد كثيرا على السخاوي المؤرخ ، توفى أوائل القرن العاشر الهجري[٤].

الحديث :

يعد الحديث النبوي الشريف[٥] المصدر الثاني للشريعة الإسلامية ، وهو المكمل لها لأنه يتضمن أحكاما وقوانين للمجتمع الإسلامي ، على الرغم من أنه لم يدون إلا في أواخر القرن الأول الهجري لأن الصحابة كانوا يحفظونه في صدورهم ، وكان يكتب في صحاف متفرقة[٦].

ويشترط في مدرس الحديث أن يكون عالما في اللغة والنحو ،حافظا لحديث الرسول ﷺ بطريق الرواية والدراية والعلم بأسماء الرجال

(١) السخاوي : الضوء ، جـ٤ ، ص٢٩٠
(٢) ابن حجر : أنباء ، جـ٣ ، ص٥٢٩
(٣) السخاوي : الضوء ، جـ٢ ، ص٦٧
(٤) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٥٣٢
(٥) الحديث في الأصطلاح : ما أضيف إلى النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة القول ، القول كقوله ﷺ " أنما العمال بالنيات ..." ، والفعل كالذي ثبت من تعليمه لأصحابه كيفية الصلاة ، ثم قال " خذوا عني من سنتكم " أخرجه مسلم وأحمد والنسائي ، الإقرار : كأن يقر أمرا علمه عن أحد أصحابه من قول أو فعل سواء أكان ذلك في حضرته ﷺ أم في غيبته ثم بلغه ، والصفة كما روي من أنه ﷺ كان دائم البشر ، سهل الخلق ، لين الجانب ، ليس بفظا ولا غليظ ولا صخاب ،ولا نحاس ولا عياب ..."
(٦) السيد عبد العزيز سالم : التاريخ والمؤرخون ، ص١٧٤

وطرق الأحاديث والمعروفة بالأسانيد(١) ، وان يبصر الطلبة بمواقع الجرح والتعديل والتوجيه والتعليل والصحيح والمعتل(٢) ، ومن ذلك ما تذكره حجة وقف جمال الدين الأستادار : " ويرتب الناظر رجلا من أهل الخير والصلاح ، عالما بعلوم الأحاديث النبوية من حال الرواه جرحا وتعديلا ، ومعاني الحديث ، وتبين غامضها وتبيان صحيحها وسقيمها ومتوازها وأحادها ومسندها ووسطها وحسنها إلى غير ذلك من الفنون"(٣).

وترجع أهمية دراسة الحديث النبوي إلى أنه يتعرض لكثير من الأمور المتعلقة بالحياة الدينية والاجتماعية والاقتصادية والفكرية ، وغيرها في المجتمع الإسلامي ، ولذا اشتهر الكثير من التجار بدراسة الحديث منهم كمال الدين الدخميس التاجر ــ أحمد بن أبي الفضائل بن أبي المجد بن أبي المعالي المحدث الرئيس كمال الدين أبو العباس الدخميس(٤) الحموي الدمشقي ، الذي رحل في طلب العلم والحديث إلى بغداد وكان يملك عددا من المماليك الخاصة به ، ودخل الهند وأقام بها ، وكثر ماله من التجارة وليس من العلم ، وكانت وفاته سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م(٥) ، وقصد ابن رشيد السبكي أبا إبراهيم مثقال الحبشي البزاز بقيسارية العجم بالإسكندرية ، قال عنه ابن رشيد إنه شيخ أمي ولكن له رواية(٦).

ومن التجار الذين قاموا بتدريس علم الحديث بالإسكندرية التاجر المحدث عمر بن محمد بن سليمان نجم الدين القاضي الدمامني الإسكندراني ابن غنوم ، توفى بالإسكندرية سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م(٧) ، والتاجر محمد بن محمود أبو الفتح أبو القاسم بن الكويك شمس الدين التكريتي ، عمل مدرس حديث وناسخا للكتب وإمام مسجد ، هذا بجانب اشتغاله بالتجارة في القاهرة والإسكندرية ودمشق واليمن والهند ، توفى سنة ٧١٤هـ/١٣١٤م(٨).

---

(١) الطلقشندي : صبح ، جـ٥ ، ص٤٦٤ ، محمود عبد الغني عبد العاطي ، التعلم في مصر ، ص٢٠٧ ، ٢٠٨

(٢) ابن العمري : التعريف بالمصطلح الشريف ، ص٤٣٧

(٣) حجة وقف جمال الدين الأستادار ، محفظة ٧ ، دار الوثائق

(٤) الدخميس : نسبة إلى دخميس ــ إحدى قرى الغربية تابعة حاليا لمركز بيلا ، رمزي : القاموس ، جـ٣ ، ق١ ، ص٣٧

(٥) ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢، ص٤٤٧

(٦) محمد الحبيب الخوجة : الحياة الثقافية بمصر والقاهرة والإسكندرية ، بحث ضمن أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، جـ٣ ، ص١٠٢٩.

(٧) الأدفوي : الطالع السعيد، ص ٤٥٦ ، ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص٤٤٦

(٨) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص٦٩١

وأبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن شهاب الدين أحمد بن مبارك بن حماد الغزي المصري الشافعي ، أصله من غزة وولد بمصر سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م ، اشتغل في بداية حياته في حانوت بباب الفتوح ولما كبر ترك ذلك واهتم بالحديث ، حيث روى صحيح البخاري ، وصحيح مسلم ، وسنن أبي داود ، السنن الصغرى للنسائي ، والسيرة النبوية لابن هشام ، ومسند الإمام أحمد بن حنبل ، وكتاب الأشربة لأحمد بن حنبل ، وكتاب الشفاء للقاضي عياض ، والجزء الأول والثاني من عوالي الطبراني ، وصفه ابن حجر العسقلاني بقوله : "كان يقظا نبيها يستحضر كثيرا من ألفاظ المتون ، ويرد على القارئ ردا مصيبا ، وكان صالحا عابدا قانتا ..." ، توفي سنة ٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م ، ودفن خارج باب النصر بالقاهرة[١].

وأيضا التاجر خليل بن محمد بن عبد الرحيم أبو الصفا أبو سعيد غرس الدين صلاح الدين الأقفهسي المصري الشافعي ، ويعرف بالأشقر الأقفهسي ، مارس التجارة في مصر ، وتولى تدريس الحديث والشعر، وكان فقيها ، توفي سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م[٢].

ومن التجار المحدثين علي بن حسن بن محمد بن قاسم بن أحمد بن الخواجا الطاهر نور الدين ، ولد سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م ، اشتغل بالتجارة في مدينة القاهرة وعمل بتدريس الحديث بها[٣] ، وعمر بن محمد بن علي سراج الدين الجناب العالي الخواجكي ، ملجأ الفقراء والمساكين الخواجا بن الخواجا الدمشقي الشافعي ابن مزلق ، ولد بدمشق سنة ٧٨٦هـ/ ١٣٨٤م ، اشتغل بالتجارة في القاهرة ودمشق وتولى تدريس الحديث بالقاهرة ، توفى سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م[٤].

وكذلك التاجر أبو بكر بن أحمد بن عبد الله زكي الدين المصري بن الهليس ، مارس التجارة في مكة والقدس ودمشق وعدن ، وبجانب ذلك كان مدرسا للحديث بمصر ، توفي سنة ٨٣٨هـ/١٤٣٤م ، ودفن بالتربة البيبرسية بالقاهرة ، ومحمد بن محمد بن وجيه بن العز ، شمس الدين السخاوي القاهري الشافعي القادري الوقاني ، يعرف بابن العز ، مارس

---

(١) ابن الفرات : تاريخه ، جـ٩ ، ص٤٧٣ ، حاجي خليفة : كشف الظنون ، جـ١ ، ص٥٥ ، ابن حجر : الدرر ، جـ٢ ، ص٤٣٢ ، محمود خليل : نيابة غزه ، ص٢٥٤

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص٢٠٣ ، الأشقر : تجار التوابل ، ص٤٩٤

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٢١٣

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٦ ، ص١٢٠

التجارة في مصر والقدس والخليل وعمل مدرسا للإفتاء والحديث بالقاهرة توفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م[١] ، والتاجر أحمد بن محمد بن الشمسي المصري بن فهد شهاب الدين ويعرف بابن المغيري ، ولد سنة ٧٧٠هـ/١٣٦٨م ، عمل بالتجارة في مصر ، وبجانب ذلك تولى مشيخة المقام الدسوقي أثناء سلطنة الظاهر جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) ، توفى سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م[٢].

وأنس بن إبراهيم أبو حمزة بن الحافظ ناصر الدين الحلبي ، مارس التجارة في القاهرة ، وعمل مدرسا للحديث ، توفى بحلب سنة ٨٨١هـ/١٤٧٦م[٣] ، والتاجر أحمد بن عبد القادر شهاب الدين الحيوي النشاوي القاهري الحنفي ، ولد سنة ٧٩٤هـ/ ١٣٩١م ، اشتغل بالتجارة في مصر ، وعمل ناظر الخاص ومدرس حديث ، توفي سنة ٨٨٤هـ/ ١٤٧٩م بباب النصر[٤] ، وكذلك محمد بن محمد بن وجيه جلال الدين المصري المالكي بن سويد ، ولد سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م ، مارس التجارة في صعيد مصر ومكة والمدينة ، وبجانب ذلك اشتغل بالحديث ، وتوفى سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م[٥].

الفقه[٦]:

اعتمد علم الفقه الإسلامي على القرآن الكريم والسنة النبوية واجتهاد العلماء المسلمين في بعض الأمور الدينية التي لا يتسنى استنباطها من القرآن والسنة[٧].

وقد اشتهر العديد من التجار في مصر خلال العصر المملوكي بالفقه ، منهم محمد بن محمد بن عبد الرحمن النخعي القوصي ، المعروف

---

(١) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ١١ ، ص ١٩ ، ٢٠

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص١٦٥

(٣) السخاوي : الضوء ، جـ٢ ، ص٣٢٣

(٤) السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص٣٥١، ٣٥٢

(٥) السخاوي : الضوء ، جـ٩ ، ص٩٠

(٦) علم الفقه : هو علم أحكام التكاليف الشرعية العملية كالعبادات والمعاملات والعادات ، وفائدته امتثال أوامر الله تعالى ، واجتناب ما نهى عنه ، ابن الأكفاني : إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ، معهد المخطوطات العربية ، ميكروفيلم رقم ٢ معارف عامة ، ص٣٥.

(٧) ابن خلدون : المقدمة ، ص٤١٠

بالزيني ، عمل بالفقه الشافعي بادفو والمرج ، ومارس تجارته بمدينة قوص ، وتوفى سنة ٧١٥هـ/١٣١٥م[١].

ومن التجار الذين مارسوا التجارة في مصر ، واشتهر بالفقه والإفتاء التاجر محمد بن أحمد بن عثمان بن إبراهيم بن داود شمس الدين الكناني المصري الذي عمل مدرسا بالإفتاء الشافعي ، ناب في حكم القضاء خلال عهد السلطان بيبرس الجاشنكير (٧٠٨-٧٠٩هـ/١٣٠٨-١٣٠٩م) ، وولي قضاء العسكر خلال عهد السلطان الناصر شهاب الدين أحمد بن الناصر محمد (٧٤٢-٧٤٣هـ/١٣٤٢م) ، توفي سنة ٧٤٩هـ[٢].

وكذلك التاجر أبو بكر عتيق بن محمد بن سليمان تاج الدين المخزومي الدماميني ، عمل بالتجارة في القاهرة والإسكندرية ودمشق واليمن ، وكان رئيس تجار الكارم ، وتولى تدريس الفقه ، توفي سنة ٧٨١هـ/١٣٧٩م[٣] ، ومن رجال القرن الثامن الهجري الفقيه علي بن أحمد الخضر الأميري أحد علماء المذهب الحنبلي ، صنف المؤلفات ، واشتغل في تجارة الكتب ، وكان له حانوته الذي يبيع فيه ، وظل يعمل به حتى فقد بصره ، فكان يعرف أماكن الكتب في حانوته ، بل كان إذا طلب منه المجلد الأول مثلا من الكتاب الفلاني قام وأخرجه ، وكان يجس الكتاب فيقول هذا يشتمل على كذا وكذا ، فلا يخطئ ، فإذا كان الكتاب مثلا بخطين قال بخطين[٤] ، والتاجر حسين بن أحمد بن محمد بن ناصر أبو علي بدر الدين الهندي المكي الحنفي ، ولد بمكة سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م ، واشتغل بالتجارة في القاهرة ودمشق وعدن ، وتولى التدريس بمكة ودمشق حيث كان مدرسا للفقه ، وتولى ناظر الأوقاف بمكة ، توفي سنة ٨٢٤هـ/١٤٢١م[٥].

والقاضي زين الدين الشهير بالتاجر ، كان أحد فقهاء الحنفية الكبار في الديار المصرية ، وكان أول أمره سمسارا في قيسارية الشرب ، ثم انكسر عليه مال كبير ، وكان يشتغل بالعلم الشريف ، وكان رجلا سالكا مسلك المواطنين ، ولم يكن مغترا بزينة الدنيا ، توفى يوم الأحد الثالث من

---

(١) الأدفوي : الطالع ، ص٣٦٢

(٢) ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص٣٣٣

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٢ ، ص٣٤٠ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٩ ، ص٢٨٩ ، ابن كثير : البداية ، جـ١٥ ، ص١٥٦

(٤) ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص٩٠

(٥) السخاوي : الضوء ، جـ٣ ، ص٢٠١،٢٠٢

ذي الحجة سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م ، وكان عمره وقت وفاته قد زاد على سبعين سنة(١).

وإبراهيم بن محمد بن مسعود برهان الدين المري القدسي القاهري الشافعي ولد سنة ٨٣٦هـ/١٤٣٢م ببيت المقدس ، مارس التجارة في مدينة القاهرة ، وعمل مدرسا لعلم الفرائض والإفتاء بجامع ابن طولون والفقه والنظر بجامع الفكاهيين ، كما ناب في الفقه بالمدرسة المزهرية والمؤيدية ، توفى سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م(٢).

وأيضا محمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق أبو القاسم بن الفاضل الشمسي النويري الميموني القاهري ، ولد بالميمون(٣) سنة ٨٠١هـ ، قدم القاهرة ولازم البساطي في الفقه والعلوم العقلية وغيرها ، وأذن له في الإفتاء والتدريس ، ألف الكثير من الكتب والقصائد ، وكان متواضعا مع الطلبة كبيرهم وصغيرهم ، مفرطا في الانبساط معهم باذلا جاهه لمن يقصده ، ذا كرم بالمال والإطعام ، يتكسب من التجارة بنفسه وبغيره ، وقد أغناه ذلك عن الالتفات إلى وظائف القضاء ، وعرض عليه السلطان جقمق (٨٤٢-٨٥٧هـ/١٤٣٨-١٤٥٣م) قضاء القدس فامتنع ، وقضاء مصر فرفض ، بنى مدرسة بخانقاه سرياقوس ووقف عليها كل ما كان في حوزته من أملاك ، توفى سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م(٤).

والتاجر الفقيه محمد بن محمد بن صلاح الدين الحنفي إمام المدرسة الصرغتمشية ، كان أحد العلماء الفضلاء ، وأحد تجار الكتب ، فيذكر السخاوي أنه كان يقوم بشراء الكتاب بالثمن اليسير ، ثم يكتب عليه بخطه أنه بخط فلان من مشاهير النساخ حتى يروج له ، وتوفي سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م(٥).

(١) ابن الصيرفي : نزهة النفوس والأبدان ، جـ٢ ، ص١٧٢
(٢) السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص١٣٤
(٣) الميمون : قرية أقرب للقاهرة من النويرة بنحو نصف بريد ـ السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص٢٤٦ ، نويرة : مرية من صعيد مصر الأدنى على مسافة يوم للراكب منها إلى القاهرة
(٤) مجاهد توفيق الجندي : أهم الرحلات ، ص٤٩٤
(٥) السخاوي : الضوء الامع ، جـ٩ ، ص١٤٨.

ومن التجار الفقهاء محمد بن عبد الله التروجي[1] كان فقيها مالكيا ، أقام بالإسكندرية وتزوج من قرية تروجه ، وصار يتردد بينهما ، وكان يتكسب من مهنة الخياطة ، توفى بالإسكندرية سنة ٨٨٨هـ/١٤٨٣م[2].

ومن التجار الفقهاء أيضا حسين بن علي بن عبد الله بن يوسف البدر الفيشي[3] الأصل القاهري الحسيني الحنفي ، ولد سنة ٨٣٠هـ/١٤٢٦م ، حفظ القرآن والعمدة وأصول الدين ، وكان ذا ثراء شديد لعمله بالتجارة في الجبن والزيت[4].

الخطابة والإفتاء:

هذا وقد اشتغل عدد من التجار بالإفتاء والخطابة ، منهم التاجر أبو بكر بن محمد بن عبد الله بن مقبل زين الدين الزيني القاهري الحنفي، ولد سنة ٧٢٥هـ/١٣٢٤م ، مارس التجارة في العديد من المدن منها القاهرة ومكة ، وكان مدرسا للإفتاء ، وتولى القضاء ، توفي سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م[5] ، ومحمد بن محمد أبو البركات العراقي ، ولد سنة ٧٩٥هـ/١٣٩٢م ، نسخ الكثير من الكتب وتاجر فيها ، كما قام بالتدريس في المدرسة النابلسية بالقرب من دار سعيد السعداء واشتغل بالإفتاء[6].

ويحي بن محمد بن سعيد بن عمر العبسي القاهري الشافعي القباني ، ولد سنة ٨٢٧هـ/١٤٢٣م ، مارس التجارة في القاهرة ومكة ، واشتغل مدرسا للإفتاء بمصر[7] ، وأيضا محمد بن محمد بن وجيه بن العز شمس الدين السخاوي القاهري الشافعي القادري ، يعرف بابن العز ، مارس التجارة في مصر والقدس والخليل ، وعمل مدرسا للإفتاء بالقاهرة ، توفي سنة ٨٤٢هـ/١٤٣٨م[8].

---

(١) تروجة : إحدى قرى غرب الدلتا بمحافظة البحيرة الحالية ، ياقوت : معجم البلدان

(٢) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٥٥٦

(٣)الفيشي : نسبة إلى فيشا إحدى مدن الغربية ،وهي نسبة إلى فيشا سليم من القرى القديمة ، اسمها الأصلي فيشوردت ، وردت باسم فيشة سليم بين طنتدا (طنطا) وبين البزاوية ، وهي بليدة بمصر من كور الغربية ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ، جـ٤ ، ص٢٨٥ ، محمد رمزي : القاموس ، ق٢ ، جـ٢ ، ص١٠٣

(٤) السخاوي : الضوء ، جـ٢ ، ص٢٠

(٥) الأشقر : تجار التوابل ، ص٤٨٩

(٦) محمد فتحي الشاعر : الشرقية في عصر الأيوبيين والمماليك ، ص١٣٣

(٧) السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص٢٤٧

(٨) السخاوي : الضوء ، جـ٩ ، ص١٦٥

والتاجر إبراهيم بن محمد بن مسعود برهان الدين المري القدسي القاهري الشافعي ، مارس التجارة في مدينة القاهرة ، وعمل مدرسا للإفتاء بجامع ابن طولون ، توفي سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م(١).

وأيضا التاجر أحمد بن أبي بكر بن القيم أبو الأنباط الرملي الشافعي يعرف بكتيبة ، ولد سنة ٨٦٥هـ/١٤٦٠م ، اشتغل بالتجارة في مصر والشام والقدس ، تولى القضاء في بلدة من مدن الشام ، وتولى الإفتاء الشافعي ، توفي سنة ٨٧٧هـ/١٤٧٢م(٢).

وأبو بكر بن محمد بن القاسم بن الكمال أبي البركات فخر الدين القرشي الهاشمي القبلي النويري المكي الشافعي ، ولد سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م بمكة ، مارس التجارة في القاهرة ومكة وعدن والهند ، تولى الخطابة بالمسجد الحرام ، وعمل مدرسا للإفتاء بمصر(٣).

ومن التجار الذين اشتغلوا بالخطابة التاجر عبد الله بن معيد جمال الدين الدماميني القاهري الشافعي ، يعرف بابن سعيد ، ولد بدمامين سنة ٨١٥هـ/١٤١٢م ، اشتغل بالتجارة في القاهرة ، وتولى منصب خطيب بالجامع الأزهر ، توفي سنة ٨٩١هـ/١٤٨٦م(٤).

دور التجار في العلوم الأدبية :

ازدهرت الدراسات النحوية واللغوية لما كان لها من صلة وثيقة بعلوم القرآن والحديث ، وهي مفتاح لفهم القرآن والسنة ، وأداة لفهم الأحكام ، وتطرق الأدب إلى موضوعات كثيرة في مناحي الحياة ، من بينها وصف الحياة الاجتماعية والمدح ، وتناول وصف البيئة والطبيعة وغيرها(٥).

الشعر(٦):

ازدهر الشعر في مصر خلال العصر المملوكي وسار في الإطار العام للشعر العربي ، ونبغ العديد من التجار في مصر خلال تلك الفترة في

(١) السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص١٣٤
(٢) السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص٣٢٨
(٣) السخاوي : الضوء ، جـ١ ، ص٨٧
(٤) السخاوي : الضوء ، جـ٥ ، ص٥٦
(٥) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٤٠
(٦) الشعر : هو فن من فنون العرب تضمن علومهم وأخبارهم وأمثالهم وحكمهم ، ابن خلدون : المقدمة ، ص١٥٤

هذا المجال منهم ابن هلال التميمي الذي كان يعمل قماحا ، وفي نفس الوقت كان أديبا شاعرا ، قابله ابن رشيد السبتي بالإسكندرية أثناء رحلته[1].

أما التاجر أبو الحسن الجزار (٦٠١-٦٧٩هـ/١٢٠٤-١٢٨٠م) كان يعمل بالجزارة ، ولكن أجره كان لا يكفي معيشته ، بل لم يكن يحصل على نصيبه من اللحم الذي يقوم ببيعه للناس ، فاتخذ الشعر حرفة أخرى إلى جانب حرفته الأصلية كوسيلة للتكسب ، وذهب يطرق الأبواب المغلقة ، ويقدم أبياتا يصف فيها بؤسه ، ولكن لم يفلح في الحصول على ما يريد ، فعاد إلى حرفته وهي الجزارة[2].

ويقول أبو الحسن في حرفته :

أعمل في اللحم للعشا ولا أنال منه العشا..فما ذنبي[3]

ومن شعره أيضا إذ عتب عليه بعض القضاة أن عاد إلى الجزارة وترك الشعر قوله :

لا تلمني يا سيدي شرف الدين على أن رأيتني قصابا

كيف لا أعشق الجزارة ما عشت حياتي وأرفض الآدابا

وبها صارت الكلاب تروعني وبالشعر كنت أرجو الكلابا[4]

ومن شعر أبي الحسن الجزار في مدح الرسول ﷺ:

إمام الورى المبعوث من آل هاشم لنا ولرسل الله فيه رجا

إذا نظرت عيناي تربة أحمد فحسبي منها للعليل شفا

دعاني اشتياقي للنبي محمد فلبيته لما دعاني على بعد[5]

---

(١) حامد زيدان غانم : الإسكندرية منارة العلم في البحر المتوسط ، عصر المماليك ، بحث ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، دار الفكر للدراسات ، القاهرة ١٩٨٦ ن ص٢٧٢

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٢ ، ص٣٦٤ ، ابو والمحاسن : النجوم ، جـ٧ ، ص٢٤٥ ، محمد زغلول سلام : الأدب في العصر المملوكي ، ص١٣٥.

(٣) عبد العليم القباني : مع الشعراء أصحاب الحرف ، ص٤٠

(٤) محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية ، ص١٥٨ ، عبد العليم القباني : مع الشعراء أصحاب الحرف ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص٥٤

(٥) محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية ، جـ١ ، ص٢٤٢ ، ٢٠٢

وكان محمد بن موسى بن عيسى الدميري[1] المصري كمال الدين ، ماهرا في الأدب بجانب عمله خياطا ،ولد سنة ٧٤٢هـ/١٣٤١م[2].

ومن التجار الذين برعوا في نظم الشعر إبراهيم بن محمد بن بهادر بن أحمد بن عبد الله برهان الدين القرشي الغزي الشافعي ، المعروف بابن رفاعة ، ولد بغزة في ربيع الأول سنة ٧٤٥هـ/١٣٤٤م ، اشتغل في بداية حياته بالخياطة ، ثم اهتم بالعلم ، وسمع من شيوخ بلده ، واهتم بالأدب فنظم الشعر ،ووصفه ابن حجر المتوفي سنة ٨٥٣هـ بقوله : " وكان أعجوبة زمانه في معرفة الأعشاب ، واستحضار الحكايات والماجريات ، مقتدرا على النظم ، عارفا بالأوقاف ، وما يتعلق بعلم الحرف ـ الخط ـ ، مشاركا في القراءات والنجوم وطرف من الكيمياء.."[3].

ذاع صيت ابن رفاعة في بداية عهد السلطان الظاهر برقوق (٧٨٤-٧٩١هـ/١٣٨٢-١٣٨٨م) ، وأصبح من خاصة السلطان فرج بن برقوق (٨٠١-٨١٥هـ/١٣٩٨-١٤١٢م) ، فسكن القاهرة على شاطئ النيل ، ومن آثاره العلمية : دوحة الورد في معرفة النرد ، تعريب التفجيم في حرف الجيم ، القصيدة النائية في صفة الأرض ، لوا مع الأنوار في سيرة الأبرار ، وقد ظل ابن رفاعة في القاهرة يمارس حياته حتى توفي في ذي الحجة سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م[4].

ومن التجار الذين نبغوا في الشعر التاجر إبراهيم بن خلف بن تاج البلبيسي (٧٨٠-٨٤٦هـ/١٣٧٨-١٤٤٢م) ، تعلم في بلبيس ، واشتغل بتجارة عسل النحل حتى عرف بالنحال ، وقد نبغ بين الشعراء وهو كبير السن ، حيث كان من أشهر شعراء القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي ، وكان رجلا تقيا ، توفي سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م[5].

وأيضا ابن المصري أحمد بن محمد بن علي بن يوسف بن أحمد الشهاب أبو العباس القاهري الأصل المحلي الشافعي ، التاجر بجانب حفظه للقرآن وألفية ابن مالك ، اشتغل بائعا للبز (القماش) ، وخطيبا بجامع

---

(١) الدميري : نسبة إلى دميرة ، وهي قرية كبيرة بمصر قرب دمياط ، وهما دميرتان ، إحداهما تقابل الأخرى على شاطئ النيل في الطريق إلى دمياط ، وهي الآن تابعة لمركز طلخا ، ياقوت : معجم البلدان ، جـ٢ ، ص٤٧٢.

(٢) السخاوي : الضوء ، جـ١٠ ، ص٢٤

(٣) ابن حجر : انباء ، جـ٣ ، ص١١٧

(٤) أبو المحاسن : المنهل الصافي ، جـ١ ، ص١٥٣

(٥) المنوفي : البدر الطالع ، مجلد١ ، ق٩ ، ص١٠١ ، محمد فتحي الشاعر : الشرقية ، ص١٣٥

المحلة ، وهو من الشعراء المشهورين ، لم يعرف تاريخ وفاته ، ولكنه من شعراء القرن التاسع الهجري ، حيث ولد سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م(١).

وأيضا الأقفهسي :التاجر خليل بن محمد بن عبد الرحيم أبو والصفا أبو سعيد غرس الدين صلاح الدين الأقفهسي المصري الشافعي ، ويعرف بالأشقر والأقفهسي ، ولد سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م ،مارس التجارة في مصر ، وتولى تدريس الشعر بها ،وكان فقيها ، توفى سنة ٨٢٠هـ/١٤١٨م(٢).

ومن التجار الذين نبغوا في الشعر التاجر محمد بن أبي بكر بن سليمان المخزومي السكندري ،ولد بالإسكندرية سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م ، مارس التجارة في القاهرة والإسكندرية ودمشق والهند ، وتولى التدريس بالقاهرة ، حيث كان مدرسا للشعر والنحو بالأزهر وزبيد والهند ، توفى بالهند سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م(٣).

وعبد اللطيف بن رشيد بن سويد سراج الدين الربعي التكريتي الإسكندراني ،ولد سنة ٦٣٨هـ/١٢٤٠ ، عمل مدرس أدب وشعر بجانب ممارسته التجارة بالإسكندرية(٤).

ومن التجار الشعراء محمد بن محمد بن عبد الخالق أبو القاسم الفاضل الشمسي النويري الميمون القاهري ، ولد بالميمون ، وقدم القاهرة ، ألف الكثير من الكتب والقصائد ، وكان يتكسب من التجارة بنفسه وبغيره ، ومن شعره في المدح:

وأفضل خلق الله بعد نبينا عتيق ففاروق فعثمان مع علي

وسعد سعيد وابن عوف وطلحة عبيدة منهم والزبير فتم لي

توفي الميمون سنة ٨٥٧هـ/١٤٥٣م(٥).

وأيضا التاجر عبيد الله بن عبد الله الأبيوردي ، يعرف بحافظ ، مارس التجارة في القاهرة ومكة والهند ، وتولى نظر الكسوة في عهد الأشرف قايتباي (٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٥م) ، وعمل شاعرا وناقدا ، توفى بجدة ودفن بمكة سنة ٨٩٥هـ/١٤٨٩م(٦).

---

(١) السخاوي : الضوء ، جـ٢ ، ص١٥٤

(٢) السخاوي : الضوء ، جـ٣ ، ص٢٠٣ ، عبد الغني الأشقر : تجار التوابل ، ص٤٩٤

(٣) السخاوي : الضوء ، جـ١١ ، ص١٩،٢٠

(٤) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص٢٠ ، ٢٣

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص٢٤٦،٢٤٨

(٦) السخاوي : الضوء ، جـ٤ ، ص١١٦

وأحمد بن محمد بن يوسف بن البدر شهاب الدين المخزومي الكندي المالكي ابن الدماميني ، ولد بالإسكندرية سنة ٨٧٩هـ/١٤٧٤م ، اشتغل بالتجارة في مصر ، وعمل مدرسا للشعر بالإسكندرية ، وتوفي بها سنة ٩٣٩هـ/١٥٣٢م(١).

النحو(٢):

النحو من أبرز علوم اللسان العربي التي ازدهرت بمصر ، وهو من أهم العلوم اللسانية لأنه طبيعي على لسان كل متكلم ، لأن الإنسان يتكلم النحو وهو يتعلم النطق إذ بدونه لا يحسن التعبير عن أفكاره(٣).

كان القرآن الكريم هو المنبع الذي استقت منه الدراسات اللغوية والنحوية ، كما أخذت منه أول اتجاه لها ، وكانت قراءات القرآن الكريم هي الأساس في تتبع المواد اللغوية ، وكان أئمة القراءات يجيدون النحو والعربية(٤).

وإلى جانب ما ساهم به أئمة القراءات في تعميق آثار اللغة العربية في مصر نبوغ طائفة من التجار الفقهاء في اللغة والنحو منهم السيخ عبد اللطيف بن عبد العزيز شهاب الدين ، كان فاضلا عارفا في النحو واللغة والمعاني والبيان ، بجانب تجارته في بيع الكتب ، وكانت وفاته سنة ٧٥٨هـ/١٣٥٧م(٥) ، وابن الدماميني ، وهو محمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر محمد بن سليمان بن جعفر القرشي المخزومي الإسكندراني بدر الدين المعروف بابن الدماميني ، ولد بالإسكندرية سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م وتفقه بها ، وبرع في النحو والنظم والنثر ، وتولى التدريس بمدارسها المختلفة ، كما ناب في الحكم بها ، ويذكر الشوكاني أنه تصدر بالجامع

---

(١) السخاوي : الضوء ، جـ٢ ، ص١٠٥

(٢) النحو : تشير بعض المصادر إلى أن علي بن أبي طالب ﷺ هو أول من تنبه إلى تغيير ملكة اللغة ،فأشار على أبي الأسود الدؤلي وهو بالمدينة بحفظها ، ففرغ إلى ضبطها ، وعرض ذلك على أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ ، فاستحسنه وقال : "ما أحسن هذا النحو الذي نحوته "، فسمي لذلك نحوا ،ابن النديم : الفهرست ، ص٦٠

(٣) ابن خلكان : وفيات ، جـ٥ ، ص٥ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص١٦٦ ، ياقوت الحموي : معجم الأدباء ، جـ٢ ، ص١١٨ ،ابن الجرزي : طبقات القراء ،جـ١ ، ص٥٢

(٤) الشوكاني : البدر الطالع ، جـ١ ، ص١٥٠

(٥) ابن حجر العسقلاني : الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص٢١ ، السيد النشار : تاريخ المكتبات ، ص١٦٢

الأزهر لتدريس النحو[1] ، وذهب إلى دمشق سنة ٨٠٠هـ/١٣٩٧م ، ومنها اتجه إلى الحجاز ثم عاد إلي الإسكندرية بعد أن شارك مشاركة فعالة في الحركة العلمية بالبلاد التي زارها ، ولما استقر بالإسكندرية تقلبت به الأحوال واشتغل في صناعة الثياب ، ثم رحل عن الديار المصرية سنة ٨١٩هـ/١٤١٦م وتوجه للحجاز ، ومنها إلى اليمن سنة ٨٢٠هـ/١٤١٧م ، حيث تولى التدريس بجامع زبيد حوالي سنة كاملة ، ثم توجه للهند واستمر بها يؤدي دوره في نشر العلم والدين حتى وفاته سنة ٨٣٧هـ/١٤٣٣م[2].

ومن التجار الذين اشتهروا بعلم النحو يس بن محمد بن إبراهيم بن محمد الزين العشماوي المولود في البلشوش الأزهري الشافعي ، تحول منذ صغره مع أهل البلشوش من الشرقية ،وقدم القاهرة ، وأقام بالأزهر ، وحفظ ألفية ابن مالك في النحو ، بجانب اشتغاله بالتجارة حتى كثر ماله ، وتوفي سنة ٨٧٤هـ/١٤٦٩م.

والتاجر محمد بن أبي بكر بن سليمان بن جعفر بن يحيى بن أحمد بن علي بدر الدين القرشي المخزومي السكندري المالكي ، ولد بالإسكندرية سنة ٧٦٣هـ/١٣٦١م ، مارس التجارة في القاهرة والإسكندرية ودمشق والهند ، وتولى القضاء بالإسكندرية ، وفي القاهرة صار قاضي المالكية بمصر واليمن وتولى التدريس حيث كان مدرسا للنحو بالأزهر وزبيد والهند ،توفي بالهند سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م[3].

وكذلك التاجر أبو بكر بن أحمد بن محمد الإدكاوي الشافعي ، ويعرف بابن وهيب ، ولد بإدكو سنة ٨٥٨هـ/١٤٥٤م ونشأ بها ، فقرأ القرآن ، وألفية النحو ، بجانب تجارته في القماش ، وتردد على السخاوي المؤرخ كثيرا ، توفي أوائل القرن العاشر الهجري[4].

التاريخ والسير :

يتناول التاريخ دراسة السيرة النبوية الشريفة والفتوحات الإسلامية ، وغيرها من سير الصحابة، ومن التجار الذين أدلوا بدلوهم في الحياة الثقافية من خلال اشتغالهم بعلم التاريخ والسير أبو بكر محمد بن فهد بن

(١) السيوطي : حسن ،جـ١ ، ص٥٣٨ ، المقريزي : السلوك ، جـ٤ ،ق٢ ، ص٧٠٢

(٢) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ١٠ ، ص٢١٢

(٣) السخاوي : الضوء ،جـ٧ ، ص١٨٤-١٨٧

(٤) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٥٣٢

الفقي بن النجم أبي الخير الهاشمي الفلوي المكي الشافعي ،ولد سنة ٨٠٩هـ/١٤٠٧م ، اشتغل بالتجارة في مصر وحمص وحماة وحلب وغزة والرملة والقدس والخليل والهند ،وعمل مدرسا للتاريخ توفي سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م[١]

ومن التجار الذين أسهموا في علم التاريخ يحي بن حسن بن عكاشة الربعي الغزي الحنفي ،ولد بغزة سنة ٨٣٢هـ/١٤٢٨م ونشأ بها ، واهتم بالعلم ، وتصدى للقراءة على العامة بالمسجد الحرام في كتب السير وفي أواخر أيامه سافر إلى الشام لسداد ديونه ،فأقام بها على ما يزيد عن سنتين ، ثم سافر إلى القاهرة[٢].

ومن التجار المؤرخين خلال العصر المملوكي المؤرخ علي بن داواد الجوهري المعروف بابن الصيرفي ، كان مؤرخا ،وتولى الخطابة ، ثم ناب في القضاء ، وأبعد فاتجه إلى سوق الجوهرية ، واشتغل بنسخ الكتب وبيعها ، ألف كتابا في التاريخ باسم " أنباء الهصر بأنباء العصر" ، والهصر بمعنى الأسد ، ويقصد به السلطان قايتباي ، كما ألف كتاب نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، وقد قام الدكتور حسن حبشي بتحقيق هذين المؤلفين[٣].

دور التجار في الدراسات العلمية:

أسهم العديد من التجار في مصر خلال العصر المملوكي في ازدهار الدراسات العلمية من خلال عمل الكثير منهم بتلك العلوم ، فممن اشتغل بالفرائض والحساب التاجر عبد الناصر بن عمر بن أحمد بن علي المحلي القاهري الأزهري ، رئيس المؤذنين بالأزهر ،وبجانب ذلك عمل في تجارة البز بتربيعة الجمالون ،ت ٨٨٢هـ/١٤٧٧م[٤].

التاجر إسماعيل بن إبراهيم بن شرف الشيخ عماد الدين أبو الفدا القدسي الشافعي ، عرف بابن شرف الشهاب بن الهايم ، ولد سنة ٧٨٢هـ ببيت المقدس ، كان عالما بالحساب مطلعا في علم الوقت على اختلاف أوضاعه ، راسيا في الفرائض ... ، رحل في طلب العلم إلى القاهرة وغيرها ، كان يبيع البطيخ على باب الجامع الأزهر بالقاهرة ، توفي يوم

(١) السخاوي : الضوء اللامع ،جـ١ ، ص٩٢
(٢) محمود خليل : نيابة غزة ، ص٢٦٧
(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٧٣٨ ، ٧٣٩ ، السيد النشار : تاريخ المكتبات ، ص١٦٢
(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٩٠

الثلاثاء ثالث عشر شهر ربيع الآخر ، ودفن في مقبرة الساهرة ببيت المقدس سنة ٨٥٢هـ[١].

وابن رفاعة الذي وصفه ابن حجر بقوله " وكان أعجوبة زمانه في معرفة الأعشاب ... عارفا بالأوقاف ، مشاركا في النجوم وطرف من الكيمياء.." توفي سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م[٢]

وممن عمل بالطب لعلاج المرضى إما تكسبا به ، وإما لخدمة المجتمع حسن بن علي بن محمد بن عبد الله أبو المجد الطلخاوي[٣] تكسب بمهنة الطب لعلاج المرضى بجانب جمعه بين تعلم الحساب والميقات والهيئة والهندسة والجبر والمقابلة ، توفي سنة ٨٥٣هـ/١٤٤٩م[٤].

التجار والنسخ وتجليد الكتب :

شارك العديد من التجار في النهضة الثقافية من خلال عمل الكثير منهم في الكتابة وتجليد الكتب ،منهم السراج الوراق ، ولد سنة ٦١٥هـ ، وعاش بالقاهرة ما يقرب من ثمانين سنة ، كانت حرفته الوراقة اتصل بكثير من أعيان عصره ، ونبغ في الشعر ، وقد وصف حالة أولاده وما يعانونه من بؤس بقوله :

قد أقبل العيد وما عندهم ... قمح ولا خبز ولا فطرة

فارحمهم إن عاينوا كعكة ... في يد طفل أو رأوا ثمرة

تشخص أبصارهم نحوها ... بشهقة تتبعها زفرة[٥]

وقد خلف لنا سراج الدين الكثير من ألوان شعره ، منها قوله :

رب سامح أبا الحسين وسامحني ... فشأني وشأنه الإسلام

فذنوب الوراق كل جريم ... وذنوب الجزار كل عظام(٦).

ومن أشهر العلماء التجار الذين عملوا بنسخ الكتب لشهرتهم ببراعة الخط وجودته العالم عبد الله بن علي الكازوني ، وكان لغويا وأديبا

---

(١) السخاوي : النير ، ص٢٣٦ ، ٢٣٧

(٢) ابن حجر : أنباء ، جـ٣ ، ص١١٧

(٣) الطلخاوي : نسبة إلى طلخا ــ وطلخاء ــ المرأة الحمقاء ، وهو موضع بمصر على النيل تؤدي إلى دمياط ، وهي الآن مدينة تابعة لمركز المنصورة ، ياقوت الحموي : معجم البلدان ،جـ٤ ، ص٣٨ ، محمد رمزي : القاموس ، ق٢ ، جـ٢ ، ص٨٨

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص١١٥

(٥) محاسن الوقاد : الطبقات الشعبية ، ص١٦٠

(٦) ابن شاكر الكتبي : فوات الوفيات ، جـ١ ، ص٣٦

عرف ببراعة الخط وأتقان الكتابة بالكوفي ،واشتهر بتذهيب الأعمال التي ينسخها ، توفي الكازوني سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٣م[١].

وقد عمل أيضا بنسخ الكتب من العلماء وتاجر فيها القاضي علي بن محمد بن عبد الله بهرام العلاء الحلبي الدمشقي ، يعرف بابن القرمي ، نشأ في بغداد ، واشتغل بالنسخ ، ثم بالتوقيع ، ثم ولي قضاء المجدل ثم قضاء غزة ، ثم دمياط ، ثم المدرسة البيبرسية بالقاهرة ، توفى ابن القرمي سنة ٨١٤هـ/١٤١١م[٢].

وأحمد بن محمد بن عماد الدمنهوري ثم المكي ، كان يتاجر في العطر بمكة ، وكان أيضا ينسخ كتب العلم ، ويرغب في تحصيلها ، مثل سيرة ابن هشام ، والرياض النضرة للمحب الطبري ، وكانت له أملاك كثيرة ، توفي سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م[٣].

ومحمد بن أحمد بن علي الشمسي الأبياري نسبة إلى أبيار أحدى مدن الغربية ، القاهري المعرف بابن السداد ، حفظ القرآن ، وعمل بالكتابة والتذهيب والتجليد ، وما يتعلق بالزنجفر والازورد ، ت ٨٨٤هـ/١٤٧٩م[٤] ، وأيضا التاجر أبو الفضل بن عبد الوهاب بن عبد اللطيف بن علي بن عبد الكافي السنباطي القاهري الشافعي الكاتب الأعرج الذي كان يحفظ القرآن ، واشتهر بالخط الجيد ،وتكسب بالنسخ وهو جالس في حانوته يتاجر في الشراب.

وأيضا تكسب محمد بن محمد بن الشمسي البلبيسي (٨٢٥-٨٨٧هـ/١٤٢١-١٤٨٢م) بنسخ الكتب ، فكتب بخطه : الصحيح ، وكتب الدميري والبخاري ، والسقا ، واختصر تفسير البيضاوي ، ونسخ عدة كتب من تصانيف السخاوي[٥].

ومنهم أيضا الحريري : عبد القادر بن محمد بن أحمد بن علي بن أبي بكر بن حسن محي الدين الشمسي النحريري ، تكسب ببيع الشراب ، وبتجويد الخط ونسخ الكتب ، توفي سنة ٨٨٦هـ/١٤٨١م[٦] ، وابن عبد الغفار السماديس ، ولد سنة ٨٤٦هـ/١٤٤٢م بغرب الدلتا ، أخذ عنه

---

(١) ابن حجر الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص٣٨٤ ، ٣٨٥

(٢) ابن حجر : أنباء العمر ، جـ٢ ، ص٢٦٧ ، ابن العماد : شذرات الذهب ، جـ٦ ، ص٣٠٨

(٣) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٤٦٧

(٤) السيد عطا : إقليم الغربية ، ص٣٤١

(٥) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص١٦٢

(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٥ ، ص٢٣٩

الكثير من العلماء ، وقيل السنهوري واللقاني ، وقد أجاد الخط ، وبرع في الكتابة وتجليد الكتب وتذهيبها ، ناب في القضاء ، حج أول مرة سنة ٨٧٠هـ/١٤٦٥م[١].

ويحيى بن عبد القادر بن محمد بن أحمد بن الشمسي التحريري الذي اشتغل بتعليم الأنباء والنساخة ، توفي سنة ٨٩٧هـ/١٤٩١م[٢].

وابن المحتسب محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الطيب بن التاج النستراوي نسبة إلى نستراواه شمال الغربية ، الذي أتقن صناعة التذهيب وتميز فيها ـ توفي بالمدينة المنورة سنة ٨٧١هـ/١٤٦٦م[٣].

ومن التجار الذين عملوا في تجليد الكتب وتذهيبها ابن البارد : محمد بن أبي بكر ابن عثمان حبر الشمسي أبو عبد الله البغدادي السخاوي القاهري ، الذي كان يعمل بصناعة الغزل والنسيج في سوق ابن جوشن من ميدان القمح بالقاهرة ، وكان دائم السفر للشام للتجارة[٤].

التجار وبناء المدارس :

لعب التجار والأثرياء دورا هاما في الحياة العلمية في مصر خلال العصر المملوكي ، فإليهم يرجع الفضل في إنشاء وبناء العديد من المدارس.

فالتجار أصحاب الأموال الطائلة ربما كان الدافع لهم إلى ذلك هو الرغبة في نيل الثواب ، بجانب الرغبة في الظهور بمظهر الصلاح والتقوى خوفا من مصادرة أموالهم على يد المماليك ، ومن أشهر مدارسهم :

- مدرسة المحلي التي أنشأها رئيس التجار برهان الدين إبراهيم ، ت ٨٠٦هـ/١٤٠٣م ، وأنفق على بنائها خمسين ألف دينار[٥].
- المدرسة الخروبية ، وهي المدرسة التاجية الخروبية التي أنشأها القاضي التاجر تاج الدين الخروبي المتوفى سنة ٧٨٥هـ/١٣٨٣م[٦].

---

(١) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٦٠٦

)٢) السيد عطا : إقليم الغربية ، ص٣٤٠

) ٣) السخاوي : الضوء ، جـ٧ ، ص٢٢

) ٤) السخاوي :الضوء ، جـ٧ ، ص١٧٥

(٥) عبد الغني عبد العاطي : التعليم في مصر زمن الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤ ، ص١٢٦

(٦) المقريزي : الخطط ،جـ٢ ، ص٣٦٨

- المدرسة العزية الخروبية ،التي أنشأها القاضي التاجر عز الدين الخروبي ، ت ٧٨٦هـ/١٣٨٤م[١].

وأوقف الكثير من التجار الأوقاف للصرف على المدارس منهم التاجر عبد اللطيف بن رشيد التكريتي الذي عمر بالإسكندرية مدرسة وجعلها مسجدا ودارا للحديث[٢] ، وأنفق عليها من ماله حرصا على دراسة العلوم الدينية وخاصة علم الحديث ،والنص التأسيسي للمدرسة مكتوبا عليه : *"بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ــ وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلا تَدْعُو مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ــ أوقف هذا المسجد المبارك ، ودار الحديث العبد الراجي رحمة ربه عبد اللطيف بن رشيد التكريتي لتلاوة الكتاب العزيز ، وقراءة الأحاديث النبوية ، وطلب العلم الشريف على مذهب الإمام عبد الله محمد بن إدريس الشافعي رحمة الله عليه في المحرم سنة ثمان وسبعين وستمائة هـ/ مايو ١٢٧٩م ، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه"*[٣].

ومن التجار المشهورين الذين أنشئوا مدارس التاجر تاج الدين عتيق بن محمد بن سليمان الدماميني ، الذي أنشأ مدرسة بالمرجانيين بالإسكندرية[٤] ، عرفت بمدرسة الدماميني ووقفت عليها عدة أوقاف ، وأسرة الدماميني من الأسرات المعروفة في الثغر السكندري في عصر المماليك بحب العلم ، ومن أشهر رجالها بدر الدين بن محمد بن أبي بكر بن عمر الإسكندراني الأديب الفقيه ، توفي تاج الدين بالإسكندرية سنة ٧٣١هـ/١٣٣٠م[٥].

وشيد التاجر بدر الدين محمد بن علي الخروبي المدرسة الخروبية ، وكانت بظاهر مصر تجاه المقياس بخط كرسي الجسر ، أنشأها الخروبي

---

(١) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٦٨ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ، ص٩٩

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٢ ، ص٤١٠

(٣) ابن شاهين : زبدة كشف الممالك ، ص٤١ ، سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ الإسكندرية ، ص٣٠٩ ، سالم : تاريخ الإسكندرية ، ص٤٧٧

(٤) ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص ٤٨ ، عبد الغني عبد العاطي :التعليم في مصر ، ص١٣٣

(٥) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢٥٨ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٩ ، ص٢٨٩ ، الأدفوي : الطالع السعيد ، ص١٩٢

التاجر في مطابخ السكر وغيرها ، وذلك بعد سنة ٧٥٠هـ/١٣٤٩م ، وجعل مدرس الفقه بها الشيخ بهاء الدين عبد الله بن عبد الرحمن ، والشيخ سراج الدين عمر البلقيني معيدا ، وشرط بدر الدين في مدرسته ألا يلي بها أحد من العجم وظيفة من الوظائف ، فقال : " في كل وظيفة فيها يكون العرب دون العجم"(١).

والمدرسة الخروبية التي أنشأها التاجر محمد بن صلاح الدين بن أحمد بن محمد بن علي الخروبي ابن أخي التاجر بدر الدين محمد ، وهي تقع بخط الشوق قبلي دار النحاس من ظاهر مدينة مصر ، وهي أكبر من مدرسة عمه بدر الدين ، إلا أنه مات سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م قبل أن يتم بناؤها ، فليس لها مدرسون ولا طلبة(٢).

المدرسة المسلمية فقد انشأها القاضي ناصر الدين مسلم الكارمي كبير التجار ،توفي سنة ٧٧٦هـ/١٣٧٤م ، ولم يتم بناءها ، فأوصى قبل وفاته ببناؤها ، وعين الأموال الازمة لها ، ووقف عليها دورا وأرضا بمدينة قليوب ، فأكملها وصيه كافور الرومي ، وكان من شروط الوقف أن يكون لها درسان على مذهبي مالك والشافعية ، وكتب لتعليم الأيتام(٣).

كذلك أنشأ محمد بن الحسين بن الكويك التكريتي من تجار الكارم مدرسة كبيرة بمصر ، وجعلها دارا للحديث ،ووقف عليها أوقافا كثيرة(٤).

وأنشأ التاجر إبراهيم بن عمر المحلي مدرسة المحلي ، وهي على شاطئ النيل داخل صناعة التمر ظاهر مدينة مصر ، أنشأها رئيس التجار برهان الدين إبراهيم بن عمر المحلي ابن بنت العلامة محمد بن اللبان ، وينتهي نسبه إلى طلحة بن عبد الله أحد المبشرين بالجنة ، وجعل هذه المدرسة بجوار داره ، ويذكر أن تاج الدين عمر هذه المدرسة في مدة سبع سنوات ، وأنفق في بنائها ما يزيد على خمسين ألف دينار ، وجعل بجوارها مكتبا وسبيلا(٥) ، ووقف عليها الأوقاف الكثيرة ، وعين بها المدرسين ومنهم شهاب الدين أحمد بن حجر العسقلاني ، سمع منه صاحب المدرسة ،

---

(١) السخاوي : الضوء ، جـ٣ ، ص١٠١ ، ابن حجر : أنباء ، جـ١ ، ص٨٧ ، ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ، ص٩٨

(٢) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٣٧٠

)٣(ابن دقماق : الانتصار ، جـ٤ ، ص٩٩ ، المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٤٠٠ ، محمود عبد الغني عبد العاطي : التعليم في مصر ، ص١٢٥.

)٤(ابن حجر : الدرر ،جـ٣ ، ص٤٢٩

(٥) المقريزي : الخطط ، جـ٢ ، ص٧٩

وترجمه العلامة البخاري سنة ٨٠٥هـ/١٤٠٢م[١] ، توفي تاج الدين المحلي يوم الأربعاء آخر النهار الثاني والعشرين من ربيع الأول ، ودفن يوم الخميس سنة ٨٠٦هـ/١٤٠٣م، وخلف أموالا لا تحصى ولا تعد ففرقت من بعده[٢].

وكذلك التاجر محمد بن محمد بن محمد الفارسكوري البساطي ، كان أبوه على قاعدة تجارة دمياط ، حيث كان يسبك الفضة ويبيعها للصهنود وغيرهم ، وكان يستأجر الغيطان ونحوها ، زادت أمواله كثيرا ، وبنى مدرسة بدمياط ، وعمل بها شيوخا وصوفية ، توفي الفارسكوري سنة ٨٨٠هـ/١٤٧٥م[٣].

وأنشأ عبد الرشيد البرلسي ثم السكندري التاجر مدرسة لطيفة في رشيد على صهريج بناء مع بيتين آخرين[٤] ، وأيضا تاجر الخيل محمد الشمسي بن المرضعة ، كان رجلا خيرا بدأ بتجارة الخيل ، وكانت تجارة رائجة خلال العصر المملوكي ، رابحة جدا لحاجة الأهالي إليها في الركوب ونقل البريد والحج ، بالإضافة إلى الحروب والتجاريد التي لم تنته خلال ذلك العصر ، فحصل لابن المرضعة منها رواج عظيم واتسعت دائرته بحيث ابتنى مدرسة بخط الحجارين بالقرب من دار الخلافة في طريق المشهد النفيسي[٥].

ومن التجار الذين كان لهم دور كبير في إنشاء المدارس التاجر حسن بن سويد الذي أنشأ مدرسة بجوار حمام حبذر ، ولكنه مات قبل إكمالها ، وكان قد أوصى بتكملتها ، ورصد لذلك مبلغ ٤٠,٠٠٠ دينار ، أتم بناءها ورثته ، وكانت مسجدا ، ولم يعرف تاريخ وفاة ابن سويد ، إلا أنه كان خلال العصر المملوكي[٦].

---

(١) ابن إياس : بدائع الزهور ، جـ١ ، ق٢ ، ص٦٩١ ، السيد عطا : تاريخ العربية

(٢) ابن الصيرفي : نزهة النفوس ، جـ٢ ، ص١٩٣ ، ابن حجر : أنباء ، جـ٢ ، ص٢٧٠ ، المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ق٢ ، ص١١٢٩

(٣) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ١ ، ص٤١،٤٢ ، مجاهد توفيق : أهم الوكالات في مدينة القاهرة ودورها الحضاري ، مجلة المؤرخ العربي ، يصدرها اتحاد المؤرخين العرب ، العدد التاسع ، المجلد الأول ، مارس ٢٠٠٠ ، ص٤٩٥

(٤) مجاهد توفيق : أهم الوكالات ، ص٤٩٥

(٥) مجاهد توفيق : أهم الوكالات ، ص٤٩٥

(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٣ ، ص١٠١

كما أسس التاجر محمد بن مسلم البالسي مدرسة بالفسطاط ورصد لبنائها مبلغ ١٦,٠٠٠ ستة عشر ألف دينار من ماله وبيتا وأرضا[١] ، كما أنشأ تاج الدين الرهايلي مدرسة بمصر لتدريس الحديث[٢] ، وأوقف عبد العزيز الكولي ومحمد بن الكويك مدرسة بالإسكندرية[٣].

هذا وهناك بعض التجار الذين أسهموا في تجديد بعض المدارس والمساجد من مالهم الخاص رغبة منهم في تشجيع العلم والعلماء ، منهم برهان الدين إبراهيم بن عمر بن علي المحلي الذي جدد جامع عمرو ابن العاص سنة ٨٠٤هـ/١٤٠١م[٤] ، والتاجرإبراهيم أبو حسن برهان الدين المناوي ثم القاهري ، الذي عشق التجارة ، وأحب أهل العلم والفقراء ، ، وصحب الشيخ الغمري ، وقام لجامعه في القاهرة بمصاريف كثيرة كزيت الوقود وتسبيل الماء كل يوم ، وتقديم الطعام ، ورصد له ريعا بالقرب منه ، وحبس عليه بعض الأرزاق ، وصار بيته محلا لإقامة الصالحين وأولادهم[٥].

وكذلك التاجر محمد الغمري محمد بن عمر الشيخ ، الذي عمر في وسط سوق أمير الجيوش جامعا وتكسب بالشهادة ، وكان خياطا وتاجرا في بعض حوانيت العطر ، أنشأ عدة زوايا ، وحج وزار بيت المقدس كما وسع المدرسة الشمسية ، وأحكم بناءها ، توفي بالمحلة الكبرى سنة ٨٤٩هـ/١٤٤٥م[٦]

وكان الشيخ علي المحلي من أرباب الأحوال والكرامات ، وكان يتاجر في بيع السمك القديد (الفسيخ) مع البطيخ والتمرحنا ، والمرسبن (البلسان) ، والياسمين ، كان له مسجد في رشيد ، ويرجع أصله إلى المحلة الكبرى ، عاش عيشة المتصوفة ، وكان له مريدوه وطلابه الذين يلتفون حوله ينهلون من علمه ، ويذكر أن أهل رشيد كانوا يستنكرون على الشيخ مكانه الذي يبيع فيه الفسيخ مع جلاله وقدره ، ولكنه كان يقول لهم

---

(١) أبو المحاسن : المنهل الصافي ، جـ٣ ، ص٧٦٣

(٢) ابن كثير : البداية ، جـ٤ ، ص١٦٢ ، ابن حجر : الدرر ، جـ٣ ، ص١٨٦

(٣) المقريزي : السلوك ، جـ٣ ، ص١٣٢ ، أبو المحاسن : النجوم ، جـ٩ ، ص٢٢٩ ، ابن حجر : الدرر ، جـ٤ ، ص٣٨٣

(٤) ابن حجر أنباء العمر ، جـ٢ ، ص٢٧٠

(٥) محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٤٨٥ ، مجاهد توفيق : أهم الوكالات ، ص٤٩٥

(٦) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٨ ، ص٧٨

: "هذا محلي" ، فسمي بسبب ذلك المحلي ، توفي الشيخ علي المحلي سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م[١].

والأمير عنبر الطنبدي الطوابجي ، الذي كان يعمل في التجارة عند التاجر نور الدين علي الطهندي ثم أعتقه ، وخدم عند الأمراء حتى أصبح نائب مقدم المماليك السلطانية (٨٦٧هـ/١٤٦٣م) ، بنى مدرسة بخطة سوق الغنم قبل موته بمدة قليلة[٢].

التجار مدرسون :

شارك التجار في التدريس في المدارس والمساجد والكتاتيب ، حتى كان الطلبة يشدون إليهم الرحال ، ولعل الاشتغال بالتجارة جعل المال وفيرا فتفرغوا لتحصيل العلم والتدريس ، وفاقوا أقرانهم كالشيخ أبو العباس المرسي ، شهاب الدين أبو العباس أحمد بن عمر بن علي الخزرجي الأنصاري المرسي البلنسي ، الذي ينتهي نسبه إلى الصحابي الجليل سعد بن عبادة ، ولد سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م في مرسية ، وإليها ينتسب ، واستفاد من احتراف التجارة تجارب عديدة ، خرج إلى تونس هو وأخوه ، فاحترف أخوه التجارة ، بينما أنصرف هو لتحصيل العلم ، واتخذ لنفسه مكتبا في زاوية الفقيه محرز بن خلف يعلم الصبيان القراءة والكتابة والحساب ، أو يحفظهم القرآن الكريم[٣].

وأثناء مقام أبى العباس المرسي بتونس سمع بالشيخ أبي الحسن الشاذلي ، فسعي لمقابلته وصحبه إلى مصر ، واستخلفه أستاذه الشاذلي على شئون الدعوة بعد أن تزوج أبو العباس المرسي من ابنة الشيخ الشاذلي ، وكان يلقي دروسه بمسجد العطارين بالإسكندرية ، وانفرد بعد أستاذه الشاذلي بدروس المدرسة في القاهرة والإسكندرية ، وجلس رسميا

---

(١) الشعراني : الطبقات الكبرى للشافعية ، جـ٢ ، محمد زيتون : إقليم البحيرة ، ص٤٨٦

(٢) أبو المحاسن : النجوم ، جـ١٦ ، ص٣١٨ ، مجاهد توفيق : الوكالات ، ص٤٩٥

(٣) المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٣٩٠ ، جمال الشيال : أعلام الإسكندرية ، ص١٩٢

مكان أستاذه سنة ٦٥٦هـ/١٢٥٨م[١] ، واستمر أبو العباس المرسي يمارس نشاطه العلمي والديني إلى حين وفاته سنة ٦٨٦هـ/١٢٨٧م[٢].

والتاجر أحمد بن مظفر الخاطري ولد سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م ، كان يمارس التجارة مع عمه في مصر ودمشق ومكة والهند ، ولما توفى عمه ورث عنه ثروة كبيرة ، وواصل تجارة عمه في بلاد الهند ، بجانب اشتغاله مدرسا في مصر ، وكانت وفاته سنة ٦٩٦هـ/١٢٩٦م[٣].

وكان محمد بن محمد بن صلاح الدين الحنفي أحد تجار الكتب ، وإمام المدرسة الصرغتمشية ، ت ٨٦٤هـ/١٤٥٩م ، ويذكر أنه كان يقوم بشراء الكتاب بالثمن اليسير ، ثم يكتب عليه بخطه أنه بخط فلان من مشاهير النساخ كابن البواب ، وذلك حتى يروج له[٤].

ومحمد بن محمد بن محمد بن علي بن محمد بن إبراهيم بن عبد الخالق المحب أبو القاسم بن الفاضل الشمسي النويري الميموني القاهري المالكي ، ولد بالميمون سنة ٨٠١هـ/١٣٩٩م ، قدم إلى القاهرة ولازم البساطي في الفقه والعلوم العقلية وغيرها ، وأذن له في الإفتاء والتدريس ، ودرس كذلك على يد الجمال الأقفهسي ، والشهاب الصنهاجي ، والشمسي ، والشطوفي ، وغيرهم ، ألف الكثير من الكتب والقصائد ، كان متواضعا مع الطلبة كبيرهم وصغيرهم ، مفرطا في الانبساط معهم ، باذلا جاهه لمن يقصده ، ذا كرم بالمال والإطعام ، يتكسب من التجارة بنفسه وبغيره ، رفض وظيفة القضاء ، بني بخانقاه سرياقوس مدرسة وقف عليها كل ما كان في حوزته من أملاك[٥].

ومن التجار الذين عملوا بالتدريس التاجر ابن غنوم عمر بن محمد بن سليمان نجم الدين القاضي الدماميني[٦] الإسكندراني ، الذي تولى تدريس الحديث بالإسكندرية ، بجانب ممارسته التجارة بها ، وكانت وفاة ابن غنوم

---

(١) المقري : نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٣٩٠،٣٩٣ ، ابتسام مرعي : الدولة الموحدية ، ص٣٥٩

(٢) المقريزي : السلوك ، جـ١ ، ق٣ ، ص٧٣٨ ، السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٥٢٣

(٣) أبو محرمة : تاريخ ثغر عدن ، ص٥٢ ، الأشقر : تجار التوابل ، ص ٤٧٠ Wiet: GastonHistory de la mation Egyptienne l,Egypte Arabe paris١٩٣٧. P١٠٥،١٠٦ Saraget, la Chronique ، ١٦.

(٤) السخاوي : الضوء اللامع ، جـ٩ ، ص١٤٨

(٥) مجاهد توفيق : الوكالات ، ص٤٩٤

(٦) الدماميني : نسبة إلى بلده دمامين بصعيد مصر ، ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص١٨٦

سنة ٧٠٧هـ/١٣٠٧م[١] ، والتاجر محمد بن عبد اللطيف بن محمود بن الكويك ، فخر الدين التكريتي ، كان يمارس تجارته في مدينة الإسكندرية ، تولى وظيفة مدرس بالإسكندرية ، توفي سنة ٧٦٩هـ/١٣٦٧م[٢].

ويعتبر محمد بن محمد بن عيسى أبو السعادات ابن الشرف بن الفخر شمس الدين الحبشي المصري القاهري الشافعي ابن الأنباعي من التجار المشهورين الذين أسهموا في الحياة الثقافية من خلال التدريس بالمدرسة الصرغتمشية والحجازية ، بجانب ممارسته للتجارة في القاهرة ، هذا بجانب توليه العديد من المناصب ، منها منصب موقع الدست السلطاني ، توفي سنة ٨٥٦هـ/١٤٥٢م[٣].

وكذلك التاجر أبو الفتح بن الشمسي مجد الدين القاهري الحنفي ، ولد سنة ٧٨٠هـ/١٣٧٨م ، مارس التجارة في القاهرة ، وعمل مدرسا وإماما للمدرسة الصرغتمشية ، توفي سنة ٨٦٤هـ/١٤٥٩م[٤].

ومحمد بن عبد الرحمن بن حسن بن سويد بن البدر فتح الدين المصري المالكي ، ولد بالطهران سنة ٨٢٣هـ/١٤٢٠م ، اشتغل بالتجارة في مصر ومكة ، وعمل مدرسا بمصر ، وناب في القضاء المالكي ، توفي سنة ٨٧٣هـ/١٤٦٨م[٥].

---

(١) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٣ ، ص١٨٦ ، أبو المحاسن : المنهل الصافي ، جـ١ ، ترجمة رقم ١٧٤٩

QuatremereMemoires، ،geogrophiques P ٢١٤.
Fishel uber die Gruppe des Karimi P -٦٨

(٢) ابن حجر : الدرر الكامنة ، جـ٤ ، ص١٤٣

(٣) السيوطي : حسن المحاضرة ، جـ١ ، ص٢٣١ ، السخاوي : الضوء ، جـ٩ ، ص٢٧٦

(٤) السخاوي : الضوء ، جـ٩ ، ص١٤٨

(٥) السخاوي : الضوء ، جـ٧ ، ص٢٨

المصادر والمراجع

الادفوى : كمال الدين أبى الفضل جعفر بن ثعلب (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

- الطالع السعيد الجامع الأسماء بخباء الصعيد ، القاهرة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م .

ابن الاكفانى: شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعده الأنصاري (ت ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨) .

- إرشاد القاصد إلى أسنى المقاصد ، تحقيق محمد السعيد ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٨م .

ابن إياس : محمد بن أحمد الحنفي (ت ٩٣٠هـ/١٥٢٤م) .

- بدائع الزهور في وقائع الدهور ، ٥ أجزاء ، تحقيق محمد مصطفى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤م .

ابن حجر: الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلانى (ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م) .

- أنباء العمر بأنباء العمر ، ٣ أجزاء ، تحقيق حسن حبشي ، القاهرة ١٩٦٩.
- الدرر الكامنة في أعيان الثامنة ، ٤ أجزاء ، الهند ١٩٢٩م .

ابن خلدون :عبد الرحمن محمد (ت ٨٠٨هـ/١٤٠٥م) .

- العبر وديوان المبتدأ أو الخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوى السلطان الأكبر ، ٧ أجزاء ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت .
- المقدمة ، القاهرة ، مطبعة بولاق ، ١٩٠٣م .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين احمد بن محمد بن أبى بكر) ت ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م .

- وفيات الأعيان وأنباء الزمان ، تحقيق إحسان عباس ، ٨ أجزاء ، دار صادر ، بيروت ١٩٦٨م.

ابن دقماق : محمد بن أيدمر العلائي (ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠١م).

- الانتصار بواسطة عقد الأمصار ، الجزء الرابع والخامس ، بولاق ١٣٠٩هـ .

ابن سعيد : على بن موسى بن محمد عبد الملك (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م) .

- النجوم الزاهرة في حلى حضرة القاهرة ، تحقيق حسين نصار ، القاهرة ١٩٧٠م .

ابن شاكر الكتبى : محمد بن شاكر بن أحمد (ت ٧٦٤هـ/ ١٢٦٢م) .

- الوفيات ،٢ جزء ، تحقيق إحسان عبـــاس ، بـــيروت ، دار صـــادر ، ١٩٧٣م .

ابن شاهين : غرس الدين خليل بن شاهين الظاهري (٨٧٢هـ/ ١٤٦٨م) .

- زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك ، نشر بولس راوميـــس ، باريس ، ١٩٨٤م .

ابن الصيرفي : على بن داود الجوهري (ت ٩٠٠ هـ/ ١٤٩٤م) .

- أنباء الهصر بأبناء العصر ، دار الفكر العربي ، القاهرة ١٩٢٠م .
- نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان ، تحقيق د.حسن حبشـــي ، ٣ أجزاء ، دار الكتب المصرية ١٩٧٣م .

ابن كثير: عماد الدين إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) .

- البدا يه والنهاية ، مكتبة المعارف ، بيروت ١٩٦٦م .

ابن الفرات : محمد بن عبد الرحيم (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٥م) .

- تاريخ الدول والملوك ، المعروف بتاريخ ابن الفرات ، جزء ٩،٨،٧ ، نشر قسطنطين زريق ، ونجلا عز الدين ، بيروت ، ١٩٤٢م .

ابن العماد : أبو الفلاح عبد الحي بن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م).

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، ٨ أجزاء ، دار صادر ، بـــيروت ١٩٨١م .

أبو المحاسن : جمال الدين أبو المحاسن يوسف (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م) .

- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، دار الكتـــب المصريـــة ، القاهرة ١٩٥٦م .
- المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي ، الهيئة المصريـــة العامة للكتاب ، ١٩٨٤م .

السبكى : تاج الدين أبو النصر عبد الوهاب (ت ٧٧١هـ/١٣٦٩م) .

- معيد النعم ومبيد النقم ، تحقيق محمد محمد على النجـــار وآخـــرون ، مكتبة الخانجى ، القاهرة ١٩٤٨م .

السخاوى : شمس الدين محمد بن عبـــد الرحمـــن بـــن محمـــد (ت ٩٠٢هـــ/ ١٤٩٧م) .

- النبر السيول في ذيل السلوك ، مكتبة الكليـــات الازهريـــة ، القـــاهرة ١٩٦٨م .
- الضوء اللامع أهل القرن التاسع ، ١٢ جزء ، بـــيروت ، دار الـــتراث ١٩٨١م .

السيوطى : جلال الدين عبد الرحمن أبى بكر (ت ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) .

- حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة ، جـــزءان ، دار الـتراث ، بيروت ، ١٩٧٨م .

حاجي خليفة : مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي (ت ١٠٦٧هـ/ ١٦٥٦م) .

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، أستانبول ، ١٩٤١م .

الذهبي : أبو عبد الله شمس الدين محمد (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) .

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الارنؤوطـــي وآخـرون ، مؤسســة الرسالة ، بيروت ١٩٨٣م .

الشوكاني : شمس الإسلام محمد بن علي الشوكاني (ت ١٢٥٠م/ ١٨٣٤م) .

- البدر الطالع بمن بعد القرن السابع ، جزءان ، القاهرة ١٩٦١م .

المقريزي : تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/١٤٤٢م) .

- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار ، ٢ مجلد ، دار صادر ، بـيروت ١٩٨٣م .
- السلوك لمعرفة دول الملوك ، ج١،ج٢ ، مطبوع فـــي ســتة أقســام ، تحقيق محمد مصطفى زيادة القاهرة ١٩٥٨م ، مطبوع في ستة أقسام تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور ، القاهرة ١٩٧٣م .

المقربي : أحمد بن محمد (ت ١٠٤١هـ/ ١٦٣٤م) .

- نفح الطيب في غصن الأندلسي الرطيب ، تحقيق إحسان عبـــاس ، دار صادر ، بيروت ١٩٩٦ .

ياقوت الحموي : ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٩م) .

- معجم الأدباء ، دار الكتب العربية ، القاهرة ١٩٣٨م .

القلقشندي : شهاب الدين احمد بن علي(ت ٨٢١هـ/ ١٤١٨م) .

صبح الأعشى في صناعة الإنشاد ، ٤ أجزاء ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٣٥م .

المراجع العربية الحديثة:

ابتسام مرعي خلف الله

- العلاقات بين الخلافة الموحدية والشرق الإســـلامي ، دار المعـارف ، القاهرة ١٩٨٥م.

ابراهيم علي طرخان:

- مصر في عصر دوله المـمـاليك الجراكســة ، دار النهضــة العربيــة ، القاهرة ١٩٦٠م.

أحمد أحمد بدوي:

- الحياة العقلية في عصر الحروب الصليبية بمصر والشام ، دار نهضة مصر للطبع والنشر ١٩٧٢م.

أحمد عبد الحميد خفاجي

- طائفة التجار في مصر المملوكية ، مجلة كلية الآداب ، طنطا ،١٩٨٢م.

السيد السيد النشار

- تاريخ المكتبات في مصر في العصر المملوكي ، الدار المصرية اللبنانية بيروت ، ١٩٩٣م.

السيد عبد العزيز سالم

- تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٦١م
- التاريخ والمؤرخون العرب ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٨٣م.

السيد محمد عطا

إقليم الغربية في عصر الأيوبيين والمماليك ، دراسة تاريخية وحضارية ، سلسلة تاريخ المصريين ، ٢١٨ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ٢٠٠٢م .

حامد زيان غانم

- الإسكندرية منارة للعلم في البحر المتوسط عصر المماليك ، بحث ضمن كتاب مصر وعالم البحر المتوسط ، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ،القاهرة ، ١٩٨٦م .

سعيد عبد الفتاح عاشور

- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٦٢م .
- مصر في عصر دوله المماليك البحرية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٥٩م.

سعد زغلول عبد الحميد

- تاريخ الإسكندرية من الفتح الإسلامي إلى بداية العصر الفاطمي ، بحث ضمن كتاب تاريخ الإسكندرية وحضارتها منذ اقدم العصور ، محافظة الإسكندرية ، ١٩٦٣م .

العليم القباني

- مع الشعراء أصحاب الحرف ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ١٩٦٧م .

مطيعة ابراهيم على

- وثيقة الأمير ، دراسة وتحقيق مجلة كلية الآداب ، جامعة القاهرة ، القاهرة ١٩٦٦م .

عصام الدين عبد الرؤف الفقي

- الحواجز الإسلامية .

مجاهد توفيق

- أهم الوكالات في مدينة القاهرة ودورها الحضاري ، مجلة المؤرخ العربي ، يصدرها اتحاد المؤرخين العرب ، العدد التاسع ، المجلد الأول ، مارس ٢٠٠٠ .

محاسن الوقاد

- الطبقات الشعبية في القاهرة المملوكية ، دار النهضة المصرية العامة للكتاب ، تاريخ المصريين ١٥٢ ، القاهرة ١٩٩٩م .

محمد زغلول سلامه

- الأدب في العصر المملوكي ، ٢ جزء ، دار المعارف ، ١٩٧٠م .

محمد الحبيب بن خوجه

- الحياة الثقافية بمصر والقاهرة والإسكندرية في سنتي ٦٨٤،٦٨٥هـ خلال رحلة ابن رشيد ، أبحاث الندوة الدولية لتاريخ القاهرة ، مارس – إبريل ١٩٦٩م ، دار الكتب ، القاهرة ١٩٧١م .

محمد عبد الغنى الا شقر:

- تجار التوابل في مصر في العصر المملوكي ، تاريخ المصريين ، ١٣٧م ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٩٩م .

عبد اللطيف حمزة

- الحركة الفكرية في مصر في العصرين الأيوبي والمملوكي الأول ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٩٦٨م .

عبد الغني محمود عبد العاطي

- التعليم في زمن الأيوبيين والمماليك ، القاهرة ، دار المعارف ، ١٩٨٤م.

محمد رمزي :

- القاموس الجغرافي ، ٦ أجزاء ، دار الكتب المصرية ، ١٩٥٤م .

محمد فتحي الشاعر:

- إقليم الشرقية في عصر الأيوبيين والمماليك ، كلية الآداب ، جامعة المنوفية ، ١٩٩٧م .

محمد محمد أمين

- الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر في عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية ، القاهرة ١٩٨٠م .

محمد محمد زيتون

- إقليم البحيرة ،مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ١٩٦٦م .

المراجع الأجنبية:

Fisiel, W, Ueber die Gruppe des Kariml- Kanffente Ein Beitrage Zgeschoil des Orient Handels Unterdon Mumluken S.A Rome 1937.

Quatremere, Memoires, geogrophique et Historiques sur L,Egypte II Paris 1811 .

Savaget, La Chronique de Dames d, al Dhazari

Wiet Gaston: History de la natian Egyptienne L,Egypte Arabe Paris 1937 .

Les Marchands d,epices sous les Sultans Mamlouk Chiers d,histoire Egyptienne La Cairo 1955 .